المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17 أيـار 2025
No.17 May 2025

النوستالجيا عند الشاعر علي مجبل المليفي (حزنخانة) اختياراً

م. د. جابر حسين جبر
مديرية تربية ذي قار- قسم الاشراف التربوي
jjh60431@gmai.com

الملخص

أعطى الشاعر صور متعددة لحنينه، وفي الوقت نفسه تمظهرت لديه ملامح الانتماء لوطنه، وحنينه وإحساسه وتعلقه بأرضه وأنهاره ونخيله، كما أكد الشاعر انتمائه للاماكن التي امتزجت مع صيرورة حياته منذ الطفولة وحنينه اليها، اذ تشكلت في ذاكرته أبعاد مختلفة لحياته الثقافية والاجتماعية ، وصور الشاعر لنا حالة التمزق والمأساة التي تعكس الواقع العراقي، وهو يذكر حالات رفضه الواقع المرير والدمار الذي يمر به وطنه، وبرزت ظاهرة النوستالجيا في الشعر العربي المعاصر بوصفها موضوعة مهمة تستدعي الانتباه نتيجة أسبابها وما انطوت عليه من الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الصادقة النقية، وسنتناول موضوعة (النوستالجيا في القصيدة الحديثة للشاعر(علي مجبل المليفي) في مجموعته الشعرية(حُزنخانة) انموذجاً.

الكلمات المفتاحية: النوستالجيا- القصيدة الحديثة- علي جبل المليفي.

Nostalgia in the Modern Poem

L. Dr . Jabir Hussein Jabr
Thi-Qar Eduction Directovate -Eductuiton Supevision Departement

Abstract

The poet gave multiple images of his nostalgia, and at the same time, the features of belonging to his homeland, his nostalgia, feelings and attachment to his land, rivers and palm trees appeared in him. The poet also confirmed his belonging to the places that were mixed with the course of his life since childhood and his nostalgia for them, as different dimensions of his cultural and social life were formed in his memory. The poet depicted for us the state of fragmentation and tragedy that reflects the Iraqi reality, as he mentions the cases of his rejection of the bitter reality and destruction that his homeland is going through. The phenomenon of nostalgia emerged in contemporary Arabic poetry as an important topic that calls for attention due to its causes and what it contained of emotions, feelings and honest, pure feelings. We will discuss the topic of (Manifestations of Nostalgia in the Modern Poem of the poet (Ali Mujbil Al-Mulaifi) in his poetry collection (Huznakhana) as a model.

Keywords: Nostalgia - Modern Poem- Ali Mujbil Al-Mulaifi

المقدمة

أخذت موضوعة الحنين حيزاً كبيراً من الشعر العربي في عصوره المختلفة منذ عصر ما قبل الاسلام الى يومنا هذا لأسباب كثيرة أهمها الاغتراب الروحي والجسدي الذي عانى منه الشعراء، فكان هذا مثيراً

مهماً لبواعث الحنين والشوق، وكان إن تميز هذا الغرض الشعري وطرق الشعراء القدامى والمعاصرين فيه بصدق العاطفة، واحساس الحزن المتقد المتأجج، والألم النفسي والجسدي العميق، فهو تجربة ذاتية انسانية خالصة نقيّة ممتزجة بمشاعر الفقد والشوق وأمل الوصول والعودة الى المشوق اليه انساناً او مكاناً او زمناً ماضياً، وفي الشعر العربي المعاصر برزت ظاهرة النوستالجيا بوصفها موضوعة مهمة تستدعي الانتباه نتيجة أسبابها وما انطوت عليه من الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الصادقة النقية، وسنتناول موضوعة النوستالجيا في القصيدة الحديثة للشاعر(علي مجبل المليفي)[1] في مجموعته الشعرية(خُزنخانة) انموذجاً، فليست النوستالجيا مجرد حنين لماض قديم، بل هي تمثيل لمشاعر القلق والاغتراب لدى الأديب المعاصر، والأدب بشكل عام شكل فني يُعبّر عن النوستالجيا كما يقول النقاد.

وتعدّ "النوستالجيا" من المواضيع الهامة التي نالت حيّزا واسعا في الدراسات الأدبية، وهي مصطلح غربي يقابله لفظ "الحنين" باللغة العربية، ويعد نزعة إنسانية ملازمة للفرد في كل مكان وزمان، ولقد عصف بالشعراء وهزّ قلوبهم، فزادهم شغفا لجوانب تتعلق بحياتهم؛ لأنّ ذكريات الماضي جزء لا يتجزأ منها، فهي محفورة في داخله لذلك يتوق إلى العودة لها، والعيش في زمانها مرّة أخرى.

يهدف البحث إلى تتبع تجليات ظاهرة "النوستالجيا" في قصائد الشاعر(علي مجبل المليفي)، ولاسيما في مجموعته الشعرية(خُزنخانة) انموذجاً، فضلاً عن تعبيره عن معاناته ومأساته، واسترجاعه لذكريات الماضي وشوق العودة إليها.

إن النوستالجيا لا تقتصر على الزمن فقط، وإنما هناك لحظات ومواقف ومشاعر إيجابية، يبقى يلاحقنا هاجس الحنين والعودة إلى تلك الإيام، هرباً من لحظات الحزن والكأبة والخوف، بحثا عن ذلك الاطمئنان والاستقرار عند الرجوع إلى لحظات من الماضي، وهذه الحالة تدعى بـ "نوستالجيا". [2]

والنوستالجيا: "هي وسيلة دفاع يستعملها العقل لرفع المزاج وتحسين الحالة النفسية، لذا فإنها تكثر في حالات الملل أو الشعور بالوحدة خاصة عن كبار السن، أي عند شعور الإنسان بأن حياته فقدت قيمتها وأصبحت تتغير للأسوأ، فيقوم العقل باستدعاء ذكريات الماضي الطيبة بدفئها وعواطفها، فتعطيه تلك الذكريات الدفعة التي يحتاجها للتعامل مع التحديات الحالية، فالنوستالجيا هي مورد نفسي يهبط فيه الناس ليستعيدوا حياتهم ويشعروا بقيمتهم، وهي من السبل الناجحة في صد الاكتئاب وقتياً، فتشعر بأن حياتك البائسة كانت ذات قيمةٍ يوماً ما"، واحيانا تكون النوستالجيا تعبيراً عن العجز في مواجهة الظروف والتحديات والبؤس والشقاء، فيلجأ الشاعر إلى الهروب نحو ذكريات ولحظات الأمل والتفاؤل، وكأنها محاولة هروب من الحاضر والعودة إلى الماضي[3].

والنوستالجيا تعود إلى "الأصل المعجمي للفظة نوستالجيا فهي منحدرة من الكلمتين اليونانيتين στοός̓νο التي تعني العودة، و λγοζ́α بمعنى الألم والمعاناة، أما مصطلح نوستالجيا فيدل في اشتقاقاته على حالة مزاجية ، وقد ارتبطت بمنظومتها الرومانسية، ويرى بعض النقاد بأن الرغبة في الماضي والحنين إليه نوع من الخيال والهروب من الواقع.

الحنين لغةً واصطلاحاً

الحنين في اللغة: حَنّ حنيناً: صَوَّتَ، ويقال: حَنَّتِ: الناقةُ: مَدَّت صوتها شوقاً الى ولدها، وحنَّتِ الرياحُ: صَوَّتَتْ صوتاً يشبه حنين الإبل، وحنَّتِ القوسُ: صوَّتَتْ عند الانباض، وحنَّ العودُ: صَوّتَ عند النَّقر، وحنَّ الرجلُ: صوّتَ طرباً او توجعاً، وحنَّ إليه: اشتاق، وتحانَّ القومُ: اشتاق بعضهم الى بعض، وتحنَّنَ عليه: تَرحَّمَ، واستحنَّ الى الشيء: اشتاق، والتحنانُ: الحنين الشديد، والحنانُ: رقَّةُ القلب، والحنّانُ: الرحيم

وهو من صفات الله تعالى، والحنَّانةُ: المرأة تحنُ الى ولدها او زوجها الأوّل فتذكره بالحنين والتحزُّن، والحنونُ: الشفيقُ، والحنينُ: الشوق، وحنا عليه حُنّواً: عطف، وانحنى: انعطفَ[4].

أما في الاصطلاح فإنّ معنى الحنين هو: ((شعور بالحزن والذبول يغشيان عدداً من الناس)) [5]، والشوقُ وتوقان النفس مع الطرب والتنغيم.

ولم يكن شعر الغربة والحنين مصطلحاً جديداً في الشعر والأدب العربي، فظاهرة الإغتراب والحنين من الأغراض القديمة في الشعر العربي، فنرى الشاعر على مدى العصور يشعر بالحنين والغربة ويعبّر عن تجربته الإنسانيّة الصادقة تجاه الوطن الذي رحل عنه .فظهر هذا النوع الخاصّ من الشعر لأوّل مرّة بصورة بارزة في الشعر الجاهلي، وأوّل من شعر بالغربة وحنّ إلى الديار وبكى عليها هو ابن حذام، ويستدلّ على ذلك من قول أمرئ القيس، حيث يقول:

عُوجَا عَلى الطَّلَلِ المُحِيلِ لأنّنَا نَبكي الدّيَارَ كَمَا بَكَى ابنُ حِذَامِ [6]

ويرتبط الحنين بالفقد ويعبر عن شغف المرء بالمعتقد اليه وشوقه اليه أياً كان نوعه مع الأمل بالعودة اليه سواء أكان وطناً او حبيباً او غيرهما لأسباب مختلفة يفرضها البعد المكاني او الجغرافي او البعد النفسي قسراً او إجباراً[7].

وللحنين في الشعر وغيره بواعث كثيرة منها: الاغتراب عن الاهل والوطن، والنأي عن الحبيبة، والشوق الى بعض الشواخص التي تثير الوجدان، والطبيعة، والنساء، وغيرها من المثيرات المتنوعة[8].

ويعد شعر الحنين والغربة إحدى الموضوعات التي طرقها الشعراء القدامى والمعاصرين ، اذ ينماز هذا الشعر بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة المتأججة، فهو تجربة شعورية خاضها الشاعر القديم والمعاصر معبراً عن شعوره بالفقد واحساسه بالاغتراب من خلال أشعاره الرقيقة التي لا يكاد يخلو منها أدب أمة من الأمم، وظهرت في أشعار الشعراء مظاهر الحنين والغربة بأشكاله المختلفة كالحنين والغربة المكانية والروحية والزمانية والدينية[9].

وقد اهتمّ الشعراء منذ القديم بشعر الغربة والحنين، فكان الشاعر يعاني ويشعر بالألم بسبب الفراق والبُعد عن الوطن وعن كلّ ما كان يفتقده من الأحبّة والأصدقاء، وأيّام الشباب، والمحبوب[10].

وكان قد اقتصر مصطلح الغربة والحنين في ما سبق على الشوق إلى الوطن والنزوع إليه؛ دون العناية بالمفتقدات الأخرى التي يحنّ إليها الشاعر كالأهل، والأحبّة، والأصدقاء، والذكريات الماضية، فنرى أثراً بالغاً لهذه المفتقدات على شعر الشعراء، فمصطلح الحنين ذو صلة بالفقد، وهو يعبّر عن شغف المرء واشتياقه إلى المفتقَد مهما كان نوعه، اذ إنّ الحنين يُعبِّر عن عاطفة إنسانيّة صادقة، ويرتبط غالباً بالغربة التي يفارق فيها الإنسان وطنه وأهله وأحبّاءه لظروف مختلفة. فعبّر الشعراء عن الاغتراب وحنينهم لوطن تركوه، لما أودعوا فيه من المفتقدات الغالية من الأهل والأقرباء والأحبّة والأصدقاء والذكريات، إمّا رغبةً في العلم، والجاه، والمال، أو مكرهين في حالة الفقر والنّفي[11].

مظاهر النستولجيا(الحنين) عند الشاعر علي مجبل المليفي(حزنخانة)

برزت ظاهرة النستولجيا (الحنين) في شعر علي مجبل المليفي بصورة جليّة ضمتها مجموعة من قصائده ضمن ديوان (حزنخانة)، ويشمل الحنين والغربة أنواعاً مختلفة منها :الحنين والغربة المكانية وهو ذلك الإحساس الذي يشعر به الإنسان بسبب بعده عن وطنه؛ والحنين والغربة الزمنيّة وهو أنّ الشاعر يعبّر عن مشاعره حول فقدان مكانته الاجتماعية والمنزلة التي يستحقّها، فالنّاس من حوله لا يقيمون له ولأدبه وزناً، وقد اهتمّ الشاعر بشعر الغربة والحنين، فكان الشاعر يعاني ويشعر بالألم والغربة. وسنتناول بعض من النماذج المختارة التي جسّدت موضوعة الحنين.

ففي قصيدته الموسومة بـ (أحجارُ المدن القاصية) يتخذ الشاعر من شخصية(جلجامش) مداراً لحنينه الى الماضي العريق لوطنه، إذ يقول[12]:

جلجامشُ أيُّها البعيرُ العراقيُّ

ألا تعبتَ ؟ وهم يجرُّونك لحربٍ في البصرةِ

لا ناقةَ لك فيها ولا وطن

يجرُّونك لخيبةٍ تذروها الأقاصي

أعرفُ أنّكَ تُيمِّمُ نخلكَ كلَّ دماءٍ

للبراري وهي تندلعُ(بالمكاريد)

أيُّها العَمُّ

يا حكايتنا الوطنية

يا أبانا سأهتكُ المشكاةَ لأنها

لا تومضُ للمتعبين

وأنتَ تعلمُ أنَّ القصائدَ هي سقفُ المشردين

وأنّ طينكَ هو جمرُ الخليقةِ

ستلمع مثل بشرى على كفافِ

وتغرزُ في ظِلّكَ شعلةَ الحياةِ

الواصلون هم العراق

والماكثُ هو عيدُكَ المجيد

تُعد ظاهرة الحنين الى الماضي وشخوصه التاريخية التراثية في عصورها الذهبية أداة رفض للواقع المعاصر ومآسيه وسلبياته سياسياً واجتماعياً وثقافياً ودينياً، فهي رد فعل طبيعي من اجل بناء حاضر أفضل، وشاعرنا ولأجل هذا الهدف في مخاطبته لوطنه يتخذ من شخصية جلجامش قناعاً يمرر عبره فكرته ورؤيته، فشخصية جلجامش بوصفها رمزاً تاريخياً موغلاً في القدم وصاحب أول ملحمة شعرية انسانية ورمزيته في الخلود والبقاء هي في الحقيقة حنين يستلب روح الشاعر، ويدفعه الى التوق من الحاضر بمآسيه، فالوطن المبتلى بالحروب والواقع السياسي المزري يشكل ألماً ذاتياً اليه وصولاً الى مجده الذهبي وشخوصه المكللة بالمجد.

ويطالعنا الشاعر في نص شعري آخر والموسوم بـ (الأوطانُ المُطهّمةُ بالفقراء) يخاطب بها (بغداد) في عصرها الذهبي، اذ يقول[13]:

الأوطانُ المُطهَّمةُ بالفقراءِ

هي مقاماتٌ مُدَنَّسَةٌ بالطغاةِ

ومُذهَّبةٌ بالجثامين

نحنُ الآن في الطريقِ الى بغداد

هي بغدادُ التي منحتْ للطريقِ كلَّ هذا الحرير

وهي التي أوكلتْ لنفسها سقايةَ الحياة

هي بغدادُ التي اسهبَتْ بضعِ العواجلِ منذ قرون

وهي التي طمأنتْ عصافيرَ اللغةِ ببستانها

وبغدادُ هي العراقُ بكل حياة

العيدُ بوصفهِ هو المطعمُ الكائنُ على طريق سريع

ترى كم من مطعمٍ ينتظرنا

في رحلةٍ مشوبةٍ بالحياة

في هذه الصورة الشعرية يضعنا الشاعر أمام ألمه الذي أحاط به على وطنه، لاسيما الفقراء منه، فهم وقود الحروب وعبثيات الدكتاتورية وطغاتها، فيأخذه الحنين بوصفه نوعاً من المعارضة السياسية الى بغداد الزاهرة أيام العصر العباسي، فالشعور بالغربة عن الواقع المزري في هكذا رؤية مغلفة بالحنين إنما هو خبرة وتجربة ومعاناة يوجهها الانسان حيث ما ستدعى خلاصه وسعيه نحو الاطمئنان الروحي ، ولو كان ذلك على مستوى التصور والخيال فقط[14].

وعلى وفق هذا تحضر بغداد في ذهن الشاعر بمجدها القديم، حاضرة الاقتصاد زمانها، ومنبع الحياة التي قدمت للناس والعالم نور العلم والحضارة والتمدن، فهي عند الشاعر صبية نابضة بالحياة لا تشيخ ولابد لها من النهوض لتغير واقعها المرير وترفض سلطة الطغاة.

وفي النمط ذاته يطالعنا الشاعر في قصيدته المعنونة بـ (حُزنخانة)، اذ يقول[15]:

أنا معكم بشرطِ أنْ أكونَ سميرَ العاصفة

وعلى افتراض أنَّ مظلاّتِ بغدادَ

هي سندبادُ الفقهِ وآلةُ النعيم

مكائنٌ من خلفها غزاراتٌ

تدعسُ زهراتنا على متونِ المماشي

وصوتُ سابلةٍ يُلوّثونَ ما تبقى من صرعى الحوانيتِ

إلامَ تُطيحُ بكلّ هذا الرفيفِ

وتُعلّقُ على موتكَ في ديباجةِ الحربِ

بأنَّكَ هِرَقْلُ الصرائفِ والمستنقعاتِ

هنا في كلّ جمعةٍ يضج المعذبون

يا إلهي سوف أموتُ ولا أرى خطبةَ الحياةِ

وهي تدورُ بين المقاهي فجر الألوانِ

يرسمُ الشاعر تراجيديا ذاتية تجريدية تختزل الواقع السياسي والاجتماعي المرير للوطن العراق، ونراه في وسط هذا يدعو الى التغيير وقيادة التحول بنفسه مضحياً بنفسه ودمه كهرقل الروم على سبيل الخلاص له ولشعبه، وفي وسط هذا الصراع النفسي في مواجهة الواقع المعاصر تلوح بغداد للشاعر بوصفها ثيمةً روحية تطهر آلامه، فالحنين اليها في مجدها السابق يخفف عنه كاهل أعباء الألم والوجع والحزن، فهي مدينة الرحالة السندباد ومدينة الفقه والنعيم، ومعها ترتحل النفس الى واقع اكثر سعادة وأماناً، وبها يهرب من واقعه الدموي الذي يحيط به، فالشاعر يمني النفس حنيناً وشوقاً الى الماضي الخالد لبغداد ولو كان هو المضحي الذي يقود التغيير وينقذ المعذبين نحو مستقبل زاهر بفجر الأمل الجديد.

وفي نص شعري آخر يطالعنا الشاعر في قصيدته المعنونة بـ (جبين العالم)، اذ يقول[16]:

لماذا وجهُكَ بلا وطنٍ

لماذا أجراسكَ بلا فضةٍ

ولحنُكَ بلا ذخيةٍ

لماذا أحزانُكَ بلا أزرارِ

وجندُك بلا ترابِ

آهٍ كمْ طالَ شتاءُ الرصاصِ

آهٍ كم تبدَّدَ من زيتِ المسرّاتِ

إلهي إنّي أشتاقُ الى وطنٍ بلا أقدامٍ

كي لا يتسبعني

يا أهلَ الكوفةِ والبصرةِ

يا مطفأةَ القيامات

يا زيتَ الثغورِ وفاكهةَ المعاركِ

إنكما ماءُ العراقِ الأوَّلِ

ولوحته النازفة.

ترتكز معاني الفقد في ذات الشاعر، فقدان الهوية ومشاعر الانتماء بفعل النظام السياسي، وفقدان البوصلة الوطنية التي تحدد الاتجاه، فهو تائه في بلده من دون ملامح او تأثير، وفي الوقت ذاته يشعر بضياع الوطن وأهله؛ لأن السلطة الغاشمة جعلت زمام الأمور بيدها بسلطة من حديد تقوده حيث تشاء ولا دور للفرد فيه سوى الانقياد والطاعة بدون معارضة او قدرة الرفض، وهنا تفقد الجماعة روح تماسكها وهذا ما يمنح فكرة الاغتراب في الوطن والعزلة الاجبارية عن أهله قوة راسخة في الذات الموجوعة المتألمة بفعل سلوكيات الدكتاتورية التي طال مكوثها، وتبدو ثيمات العزلة والفرقة واضحة في النص عبر ألفاظ(جندك بلا تراب، ويا مثقلاً بالقبائل، ومتشحاً بالخصوم)، فهي دلالات تمزق أناس وطن وفقدان التماسك الاجتماعي الذي به تواجه الدكتاتورية، وهذا ما يفسر اشتياق الشاعر الى وطن ماضٍ قابع في التاريخ، ساكن لا يتحرك، محتفظاً برونقه المجيد الزاهر، لذلك استدعى الوطن الماضي، فهو في أشد صور الحنين الى العراق القديم في ثغرية الكوفة والبصرة، فهما حاميتا جند وبهما حفظ العراق حدوده، وهما ايضا يرتبطان بشخصية الامام علي(عليه السلام)، ففي الأولى أقام خلافته وجعلها مركزاً للعدل والمساواة واحترام الانسان، والثانية موطن معركة الجمل التي هزم بها من حاول شق وحدة الصف والقضاء على الأمة والوطن، فهو استدعاء للماضي وللتراث ورموزه وأحداثه يقيمه الشاعر بديلاً عن الوطن المعاصر هرباً من أوجاعه وغربته الروحية والجسدية، اذ يبدو الحنين في الشعر والحالة هذه مستدعياً وبتركيز موضوعي المكان متشحاً بالعاطفة المتقدة كنتيجة حتمية لفعل الاغتراب الاجتماعي والروحي نتيجة عوامل قسرية قهرية مرتبطة بالحالة النفسية الواقعة تحت براثن الأسباب السياسية او الاجتماعية او الثقافية[17].

وفي تمثل آخر يرسم الشاعر صورة قاتمة السواد لوطنه فيستدعي التاريخ وشخوصه وأحداثه من أجل ثورة تطيح بالطغاة، اذ يأخذه الشوق والحنين الى شخصيتي علي بن ابي طالب(عليه السلام) وولده الحسين(عليه السلام) الثوريين متأملاً فيهما الحضور والتغيير، اذ قال في قصيدته الموسومة بـ (وطنٌ لا يؤدي)[18]:

أينَ عُمْرُكَ الذي مزَّقاهُ السارياتُ

بلادُ الوداعِ والمغيبِ

بلادُ التمائمِ والنذورِ

موطني هل أراكَ نشيداً لا يُدَنَّسُ

وأرى نسوتَكَ يغسِلْنَ أعيادَهُنَّ بلا رصاصِ

هلى أرى وجهَ عليٍّ وهو يقدحُ الثورةَ في صرائفِ التاريخ

بلادي أيتها المضغوطة بالأملِ

والخفيرةُ على خزائنِ اللهِ

ما زلتِ كالنصر الضائع بين الهزائم

يا وارثةَ الانسان والألمِ

مازلتِ مصيفَ الشهادةِ ومشتاهُ

وما زال زاهدُكِ الأكبرُ يضيءُ تخفّفوا... لتحققوا

وما زالت سقيفةُ اللهُ النازفةُ

عاشوراءَ تعترضُ التاريخ

موطني هل أرى زجاجَكَ الحسيني كالنوافير

يا بلاد النهبِ والنواميس

يا دمع العراق النبيّ

وآلامهُ الرسولة

أيها الوطنُ الذي طيَّنتهُ الليالي.

يتكئ الشاعر على الحادثة التاريخية(سقيفة بني ساعدة) وما جرى فيها من فرقة المسلمين وتشتت آرائهم وسلب الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) حقه في قيادة الأمة بعد وصية الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)، فيتخذ منها معادلاً موضوعياً لفرقة ابناء وطنه وتشتتهم، فتمزق الوطن بعد أن أحكمت عليه الفرق المتحزبة قبضتها، وكثرت الرايات وتعددت الولاءات، فهو يرسم صورة جليّة لواقع العراق بعد أحداث عام 2003 وسقوط النظام الدكتاتوري، وقيادة الاحزاب باختلاف اسمائها وتوجهاتها العقائدية والمذهبية دفة الحكم، مما اسهم بشكل كبير وعميق في التمزق السياسي، وهتك النسيج الاجتماعي، وزيادة الفرقة المذهبية، وشيوع الطائفية، اذ أودت كل هذه الى زيادة رقعة الاختلاف، واتساع الهوة المجتمعية وقيام الحروب الاهلية التي تركت البلاد تعيش في دوامة القتل والدم والخوف والتشريد والتنكيل والتهجير.

فالوطن والحالة هذه عند الشاعر عبر مرّ التاريخ رايات متخالفة، وموت دائم مستمر، وتهويمات روحية من التمائم والنذور ليست ذات نفع في احداث التغيير المنشود، فمع الاختلاف يشيع الجهل والسكون وتفقد الارادة، وتغيب القيادة التي تأخذ بيد الوطن وأهله الى مرافئ الأمان والسلام والطمأنينة، لينعكس كل ذلك في مرآة روحه، فيصيبها منها التهشيم والتصدع والشعور بمرارة الضياع، وألم التيه، وحزن الفقد والتشتت، فلم يجد شاعرنا منقذاً ومطهراً لآلامه سوى الحنين الى الماضي والتراث مستدعياً شخوصهما طلباً للثورة على الحاضر المعاصر الممزق الضعيف الدموي الذي تحكمه الساريات المتصارعة، والرايات المتناحرة.

لذلك يرى القارئ او المتلقي استدعاء الشاعر لشخصية الامام علي وولده(عليهما السلام) متخذاً من عدالتهما وطبعهما الثوري ووقوفهم مع الحق والجماعة سبيلاً يرفض فيه الحاضر الممزق، متأملاً عبرهما الماضي الثوري الذي أطاح بالظالمين وجمع ارادة المضطهدين المتعبين تحت راية واحدة، فالماضي هنا استدعاء للأمل المرجو بالتغيير، وحنين يذهب عن الشاعر الخيبة بالحاضر، ومرارته، وقسوته، وضياع الناس فيه، وفرقتهم، فالحنين على وفق هذا تطهير روحي من الألم المحيط بالنفس بفعل

الواقع المعاصر، ومحاولة التهويم الروحي المشبع بالأمل من اجل خلق وطن جديد، تحت راية منقذ، واحدة لا تتجزأ، وعادلة لا تظلم، وطاهرة لا تقتل النفس، ولا تضيع الوطن.

ومن تمثلات هذا النمط ايضاً استدعاء الشاعر عبر نصه الموسوم بـ (هوامش على مقابر يقظة) الشخصيات الأسطورية لينقذ بها واقع الانسان المعاصر وكهنوتية رجال الدين، اذ يقول[19]:

الطريقُ الذي أفضى بنا

هو لم يكن العمرَ الذي تكاتبنا عليه

قالوا... لكَ أن تكونَ طليقاً كالبراري

وصبحُكَ مضيءٌ... كالزعتر

جَمَّلوا الباحاتِ بعشبةِ الخلودِ

وأناروا لنا تمثالَ أنكيدو

يا إلهي أنت ترى جُنْدَ سراياكَ

بالكنائسِ والمعابدِ

ونرى الآلهةُ الصغارَ يحومون على المرابضِ

هؤلاءِ أعداؤُكَ الكامنونَ

يسكنونَ الماءَ والتاريخ

ويلحسون القصاع

يرتكز الاغتراب في هذا النص الشعري في طاقته النفسية المرتبطة بالمعتقد الديني، ففي مثل هذا الاغتراب يتشظى الانسان عن ذاته وزوال عوامل الاتصال والارتباط بينهما بفعل خلخلة الميثاق والوعد الديني للإنسان ببناء عالم مثالي، وهذا ناجم عن رصد الانسان لسوء الواقع الذي يعيشه ويتحكم فيه، فيفقد فيه المثل التي يتطلع اليها ويعجز عن تحقيقها ويعمد الى الهروب من ذلك الواقع الى واقع آخر يضع عبره عالماً نرجسياً منغلقاً ومنفصلاً عن واقعه الفعلي، ويصاحب حالة الاغتراب شعور طاغ بالألم والحزن واليأس والعجز والعزلة الاجتماعية والقلق والاكتئاب، واحساس بالفراغ والسأم وعدوانية السلوك مع الآخرين[20].

ولعلّ الشاعر في نصه الشعري أعلاه وانتقاده للسلطة الدينية الكهنوتية في ادعائها الذي يشبه العهد المكتوب بأن يكون الانسان حراً، مطلق الحرية، يعيش بطمأنينة وسلام روحي ومعيشي، تضيء حياته الآمال والأحلام، بينما هي تعمل على غير ذلك في الاستيلاء على ثروات الشعوب والسيطرة على قرارها السياسي والاقتصادي في أمثلة متكررة عبر التاريخ (يسكنون الماء والتاريخ، ويلحسون القصاع)، يحدث انفصاماً ذاتياً مع نفسه في كون الدين وممثليه هم جزء مهم من التكوين الروحي للإنسان، ويشعر بالعزلة عن الواقع المأساوي المحيط به، وهذا ما دفعه وكنوع من الحنين للماضي الاسطوري وشخوصه الى البحث عن صفات الاخلاص والوفاء بالعهد والميثاق فنراه وقد لجأ الى شخصية انكيدو صديق جلجامش في ملحمته الخالدة ليجعل منه معوضاً نفسياً يداري به أزمته الروحية والنفسية والاجتماعية ويعيد بناء ذاته

القلقة على سبيل المتخيل والحلم هروباً من الواقع المعاصر وعيوب مؤسساته بكافة عناوينها، بما خذلت به الانسان، وخانت معه تعهداتها عبر سلوكيات مناقضة لما تدعي.

ومن تمثلات هذا النمط ما طالعنا به الشاعر في قصيدته الموسومة بـ (مصيف الهجوع الصخري) يحن فيه الشاعر الى رفيقة ظلّه شاكياً متألماً، اذ يقول[21]:

إلى / ظلالِ ... رفيقةَ ظلّي

على سروجٍ مقمرةٍ بالدم

التقيتُكِ وكنتِ تتحدثينَ عن مصيف الهجوع الصخري

مَنْ طوَّحَ بزهرةِ الآلام الزرقاءِ تسألينني

وعن ثقوبٍ لا تطاقُ

قلتُ لكِ: إنّي لا أطيقكِ بلا قيامةٍ

في بطنِ الوحشِ حيثُ هناكَ رجاءاتٌ ميتةٌ

تعد الذكريات مداراً مهماً لشعر الحنين، ورافداً غزيراً من روافده، فهي تحمل صورة الماضي الجميل ومشاعر النقاء والاشتياق الصادق ولاسيما ما يتعلق بذكريات الحبيبة والأهل[22]، وعن طريق هذه المعاملة النفسية الوجدانية المؤطرة بالخيبة من الواقع والمشوبة بالألم يحيل الشاعر الحنين الى ذكريات الحبيبة كقوة دافعة نحو التغيير، اذ تبرز الحبيبة في النص بوصفها ملهماً يدفع الشاعر للإطاحة بالواقع المعيش الذي فقد معه شعوره بهويته وذاته ووجوده، حتى غدت الذكريات ممزوجة بصورة الحبيبة بوصفها عاملاً نفسياً ضاغطاً يشعر الشاعر بالارتياح لحظة البوح والقول الشعري.

الخاتمة

إننا وعبر النصوص المختارة بوصفها عينات من المجموعة الشعرية (حزنخانة) للشاعر علي مجبل المليفي نستنتج اتكاء الشاعر على موضوعة النستولجيا (الحنين) بوصفها قوة شعرية ونفسية رافضة للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي فرضته سلطة الدكتاتورية وأحداث ما بعد 2003 في العراق، اذ يهرب الشاعر من واقعه المعاصر، وحاضره، وما فيها من مرارة الخيبة والخذلان والخراب وضياع الهوية ووجود الانسان الى الماضي وشخوصه وأحداثه، والى الأساطير، فالحبيبة في محاولة منه لنبذ الحاضر واستدعاء الماضي المجيد والتراث الزاهر ليقيمه في عالم متخيل من العدالة والطمأنينة والسلام، فالنستولجيا عند الشاعر أداة نزوع متخيلة يزيل بها أوجاعه ويحقق الراحة النفسية بالتغيير وبناء العالم من جديد لاسيما الوطن، فالنستولجيا احساس نفسي انفعالي يتجسد في الانتقال والترحال في روح سيكولوجية إلى فضاء واقعي أو متخيل يعتقد جمالُه وخيره ومنفعته، وتتعدد الأسباب وتتنوع، ولكنها في الغالب علاجات نفسية لحالة، وهي تختلف عن النكوص والانعزالية المرضية والهروب من الواقع، إذ إنها تعبير ثقافي ووجداني نحو آفاق أكثر سعادة وطمأنينة، فالأنا المنتقلة إلى الماضي تستشعر الماضي وتعرضه موضحة جوانبه السعيدة حتى وإن ارتبطت وامتزجت بالحزن من انتماءات بعيدة، ولكنها مكبوتة في اللاشعور الواعي الذي يستحضرها ثقافياً وذهنياً كلما دعت الضرورة.

الهوامش

(1) علي مجبل المليفي: شاعر عراقي من قضاء سوق الشيوخ في محافظة ذي قار، ولد عام 1961، عضو الاتحاد للادباء والكتاب في العراق، واتحاد الادباء العرب، ورئيس التجمع الثقافي في قضاء سوق الشيوخ، حصل على العديد من الجوائز الادبية، وشارك في معظم المهرجانات الشعرية والثقافية العراقية، نشرت أولى قصائده في جريدة العراق عام 1992م، ثم توالى نشر قصائده بعد ذلك في العديد من الصحف والمجلات العراقية، أسس مع مجموعة من الادباء اتحاد ادباء ذي قار، ومنتدى الادباء الشباب في مطلع التسعينيات، والتجمع الثقافي في سوق الشيوخ بعد عام 2003، يعمل حالياً مشرفاً تربوياً، ينظر: حزنخانة، عي مجبل المليفي، مجموعة شعرية، دار المثقف للطباعة والنشر، بغداد، 2019، ص140.

(2) ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي- الحنين الى الاوطان- يحيى الجبوري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008م: 7-8.
(3) ينظر: الحنين والغربة في شع معروف الرصافي، علي عدالتي نسب، مجلة كلية التربية الاساية والعلوم الاسلامية، جامعة بابل، العدد 39، 2018م: 762.
(4) ينظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين- المجمع العلمي بالقاهرة-، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م: 203-204. مادة(حَنَّ).
(5) المعجم الادبي، جبّور عبد النور، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1984م: 100.
(6) ديوان امرؤ القيس، ابن حجر الكندي، تحقيق :محمّد أبو الفضل إبراهيم،ط3، دار المعارف، القاهرة(د.ت) :114.
(7) ينظر: الحنين في الشعر العربي الحديث، شعر المهجر انموذجاً، بلمهل فيروز وبلعشاشي سلطانة، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، 2019-2020م: 7.
(8) ينظر: الحنين والغربة في شع معروف الرصافي، علي عدالتي نسب، مجلة كلية التربية الاساسية والعلوم الاسلامية، جامعة بابل، العدد 39، 2018م: 762.
(9) ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي- الحنين الى الاوطان- يحيى الجبوري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008م: 7-8.
(10) ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحنين إلى الأوطان، تحقيق : عبدالفتّاح قبلان، ط1، مطبعة المنار، مصر 1978م: 68.
(11) عامر عبدالله، عامر عبدالله، تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني و المعتمد بن عباد، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2004
(12) حزنخانة: 5-6.
(13) حزنخانة: 12- 13.
(14) ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي، محمد راضي جعفر، منشورات كتاب اتحاد الادباء العرب، دمشق، 1999م: 43.
(15) حزنخانة: 18-19.
(16) حزنخانة : 22-23.
(17) ينظر: الحنين في الشعر الأموي، محمد دوابشتة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد31، العدد 2، 2009م: 45.
(18) حزنخانة : 50-52.
(19) حزنخانة : 59-60.
(20) ينظر: الاغتراب، الانسان المعاصر وشقاء الوعي، فيصل عباس، دار المنهل، ط1، بيروت، 2008م: 302.
(21) حزنخانة : 85-86.
(22) ينظر: الحنين في الشعر الاندلسي، القرن السابع الهجري، حمد محمد دقالي، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2008م: 287.

المصادر

- حزنخانة، عي مجبل المليفي، مجموعة شعرية، دار المثقف للطباعة والنشر، بغداد، 2019.
- المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين- المجمع العلمي بالقاهرة-، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م.
- المعجم الادبي، جبّور عبد النور، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1984م.
- الحنين في الشعر العربي الحديث، شعر المهجر انموذجاً، بلمهل فيروز وبلعشاشي سلطانة، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، 2019-2020.
- الحنين والغربة في شعر معروف الرصافي، علي عدالتي نسب، مجلة كلية التربية الاساسية والعلوم الاسلامية، جامعة بابل، العدد 39، 2018م.
- الحنين والغربة في الشعر العربي- الحنين الى الاوطان- يحيى الجبوري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحنين إلى الأوطان، تحقيق : عبدالفتّاح قبلان، ط1، مطبعة المنار، مصر 1978م.
- الاغتراب في الشعر العراقي، محمد راضي جعفر، منشورات كتاب اتحاد الادباء العرب، دمشق، 1999م.
- الحنين في الشعر الأموي، محمد دوابشتة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد31، العدد 2، 2009م.
- الاغتراب، الانسان المعاصر وشقاء الوعي، فيصل عباس، دار المنهل، ط1، بيروت، 2008م.
- الحنين في الشعر الاندلسي، القرن السابع الهجري، حمد محمد دقالي، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الاسكندرية، 2008م.
- ديوان امرؤ القيس، ابن حجر الكندي، تحقيق :محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف، القاهرة(د.ت) :114.
- عامر عبدالله، تجربة السجن في شعر أبي فراس الحمداني و المعتمد بن عباد، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، 2004.